

الدرس المصطلحي عند الفلاسفة والمنطقة

عبد العزيز المطاد
أستاذ تعليم عال
جامعة ابن طفيل - المغرب

ترجم المفكرون العرب الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي إلى اللغة العربية، وتأثروا بالمنهج اليونياني والمنطق الأرسطي، وحاولوا استغلال هذه المناهج والنظريات في علومهم الشرعية وغيرها، وفكروا بها معانٍ النصوص وسبروا أغوار المصطلحات والألفاظ وفقاً للمنطق الأرسطي، وأبرز من فعل ذلك ابن سينا في الإشارات والتبيهات وفي منطق المشرقيين وفي رسالة الحدود والقصيدة المزدوجة في المنطق، والغزالى في معيار العلم وفي المستصنى، والفارابى في الحروف وفي الألفاظ المستعملة في المنطق وفي إحصاء العلوم وفي رسالته في فضيلة العلم، والرازى في المحصول وفي المحصل وفي نهاية الإيجاز وفي مناظراته، والسكاكى في كتابه البلاغي :مفتاح العلوم، الذى خصص فيه بابا للاستدلال... وفي مقابل ذلك، فإن منهم من رفض ذلك، وأشهرهم ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين الذى رفض فيه تبني المنطق الأرسطي جملة وتفصيلاً. وفيما يلى سنحاول التعرف على المنهج الذى سلكه الفلاسفة والمنطقة العرب القدماء في دراساتهم للمصطلح العربى.

1. المنهج الفلسفى- المنطقي وأثره في دراسة المصطلح

إن دراسة المصطلح في الفكر العربي القديم لا يمكن استيعابها بعيداً عن بعض أصولها الضاربة في جذور الفكر الفلسفى والمنطقي، هذا الفكر الذى

شغل بال المفكرين عموماً والعرب منهم على وجه الخصوص لفترة طويلة من الزمن.

فالتصور والإدراك بشكل عام يقتضيان وجود مفاهيم ومصطلحات مضبوطة، ومعاني ودللات محددة. وبدون حد المصطلحات تبقى المعرفة مستحيلة. فنحن نسير نحو الأشياء مسلحين بعلامات ودوال لسانية، وهي ليست سوى حاضنات للأفكار والمعاني، بل إن العلم كيما كان لا يستطيع أن يستغني عن اللغة، ويلزمه في كل الميادين أن ينطلق من بداية الألفاظ والمصطلحات والدوال اللسانية للتعبير عن صور ومدلولات ومفاهيم فكرية.

توجد في تاريخ المنطق والفلسفة نظريتان احتلتان مكانة كبيرة في الفكر العربي، هما: نظرية المفهوم ونظرية الحد، وهما المحوران اللذان دارت حولهما الفلسفة مع السفسطائيين وسقراط، فلقد خلط السفسطائيون بين المفهوم والمصطلح مستغلين كون أغلب المتكلمين للخطاب يصررون اهتمامهم إلى بعض خصائص الأشياء المتضمنة داخل الخطاب دون باقي الخصائص، علماً أنه إذا أردنا أن ندرك الشيء وجب أن ننظر إليه من جميع وجوهه وأن نوفق بين تناقضاته الظاهرة، إلا أن السفسطائيين استغلوا الغموض واللبس اللذين يعتريان بعض المفاهيم والاصطلاحات أفضل استغلال. وكان سقراط في سعيه لتحديد المعاني وإدراكتها، يكشف ما بينها من علاقات، لذلك حاول إقامة نوع من التواصل بين الأفكار، وأعاد للفكر المنطقي حركته وحيويته.¹

فغموض الدلالات وتحكم المصطلحات في المفاهيم وفي تصورات الناس للأشياء، ساعد السفسطائيين كثيراً على إقامة منهجهم القائم على استغلال الغموض لهدم حقائق العلم، واستطاعوا تأييد موضوع ما ومعارضته في نفس الآن، لذا دعا أرسطو إلى تحديد معاني المصطلحات على وجه دقيق قبل مناظرة السفسطائيين.

1 - Janet, P et séailles G :1928, histoire de la philosophie : les problemes et les methodes, Paris, librairie de lagrave, p 475-476-477

ولقد تأثر المفكرون العرب القدماء بهذا النهج وتجده في المناظرات مثلا، كمناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهرین، كما تجده عند بعض الأصوليين كابن حزم في الإحکام في أصول الأحكام، خاصة في الباب الخامس الذي يدور حول الاصطلاحات الدائرة بين أهل النظر، والقرافي صاحب شرح تنقیح الفصول الذي افتتحه بالحديث عن الحد المنطقی وأنواعه وأقسامه، وتجده كذلك عند ابن تیمیة صاحب الفتاوی الکبری التي أفحـم فيها بابا للحدود المنطقیة، كما ألف كتابا في الرد على المنطقین وأتباع أرسـطـو. فالتأثر بالمنطق الأرسطي واتخاده منهجا في حد المصطلحات ساد في بعض الكتابات العربية القديمة، ككتب المناظرات، فقد أسهمت مجالس المناظرات بالبلاد الإسلامية في ازدهار الحركة الفكرية والمعرفة العقلية القائمة على المجادلة وتبادل الحجج، واعتبر ابن رشد الشريعة الإسلامية داعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق. هذا النهج أثر في علوم عربية أخرى كعلم البلاغة الذي أخذ عند البعض المنطق منهجا في التوصیف والتحليل، ولجأ البلاغيون إلى المنطق الصوري واستمدوا منه منهجهم التعـرـيفـي " وقد كان من أوائل الذين نحوـا هذا المنـھـى، قدامة بن جعفر في كتابه نـقـدـ الشـنـرـ، وقد بدا فيه التأثر بما ترجم عن أرسـطـو"². ولقد اعتمد كثير من البلاغيين في تصوـرـهم للدرس البلاغـي على آليات فلسـفـية ومنـطقـية، قال شـوـقـي ضـيـفـ منتقدـا ما آـلـ إـلـيـهـ الـدـرـسـ الـبـلـاغـيـ بعدـ الجـرـجـانـيـ أنـ كـلـ مـنـ آـتـواـ بـعـدـ الجـرـجـانـيـ ماـ أـضـافـواـ جـدـيدـاـ إـلـاـ تـعـقـيـدـاتـ شـتـىـ مـاـ قـرـأـوـهـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ وـالـمـنـطقـ، وـبـذـلـكـ تـحـجـرـتـ قـوـاعـدـ الـبـلـاغـةـ وـتـجـمـدـتـ، وـبـدـاـ كـأـنـهـ أـصـبـحـ مـنـ الـمـعـذـرـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ سـيـوـلـتـهاـ الـقـدـيمـةـ...ـ وـكـانـ مـنـ آـوـائـلـ مـنـ عـمـدـواـ إـلـىـ هـذـاـ التـلـخـيـصـ وـالـاختـصارـ فـخـرـ الـدـيـنـ الـرـازـيـ ثـمـ تـلـاهـ السـكـاكـيـ، فـأـوـفـيـ عـلـىـ الغـاـيـةـ مـنـ الـإـجـمـالـ الشـدـیدـ مـعـ دـقـةـ الـحـدـودـ وـالـتـعـرـيـفـاتـ وـالـتـقـسـيـمـاتـ"³.

2 - أشار النص إلى قدامة، لأن كتاب البرهان كان منسوبا إليه خطأ تحت عنوان "نقـدـ الشـنـرـ"، انظر النص الكامل في: السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية. وانظر كذلك: عبد الحفيظ الهاشمي، حد البرهان وبرهان الحد عند ابن وهب الكاتب، مع دراسات مصطلحية، عدد 1، 2001، ص 63.

3 - شـوـقـيـ ضـيـفـ، الـبـلـاغـةـ تـطـورـ وـتـارـيخـ، صـ273ـ272ـ.

فالمنطق الصوري وفضايته وأهمها الحد وأنواعه أضحت في كثير من العلوم العربية ثوابت لا يجوز الإخلال بها، لأنها أصبحت قوانين علمية صارمة لا تستقيم المصطلحات والمفاهيم إلا بها" ، يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للإيات والحجج المفيدة للتصدیقات⁴ . قال ابن سينا موضحاً أهمية المنطق في صناعة الحدود والتعريفات: "المنطق هو الصناعة النظرية التي تعرفنا من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا، والقياس الصحيح الذي يسمى برهانا"⁵

والمتأمل في فلسفة أفلاطون يلاحظ أنها تهتم بنظرية المفاهيم وما بينها من علاقات ومدى احتواء بعضها البعض، ولا يختلف مذهب أرسطو عن ذلك كثيرا. ولقد اهتم الفكر الأفلاطوني بالمعنى والدلالات والمفاهيم والمصطلحات، ففي كتاباته الأخيرة، حدد أفلاطون الفرق بين فكره وفكر من سبقوه سقراط، والذين نظروا إلى بعض المصطلحات والمفاهيم على أنها واضحة جلية⁶، بينما اعتبرها أفلاطون مفاهيم معقدة، إذ لا يتعلق الأمر بمدى معرفة كيفية انتظام المصطلحات وتركيبيها وبنيتها، بقدر ما يتعلق بالسؤال عن مفهومه وعن دلالة هذا المفهوم، وعلى التفسير الحقيقي والجدي أن يبرز ما لمفهوم ما من دلالات فكرية⁷.

إن العناية بدراسة المصطلح في الفكر العربي القديم نابعة من كون الدرس الفلسفي - المنطقي كنمط معرفي يقوم على مفاهيم ملتبسة يصعب رسم حدود صارمة لها، وقد ذكر ذلك ابن سينا في مقدمة رسالة الحدود، معتبراً أن وضع حدود دقيقة للمصطلح شيء متعدد على البشر، ولو لا إلحاح أصحابه عليه في ذلك لما أقدم على المحاولة. ولا ينبغي أن نفهم غموض هذه المفاهيم بدلالة

4 - ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ط1، ص401

5 - العياشي السنوني، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، مع دراسات مطلاحية، عدد 2/2002، ص 173

6 - نحو مصطلح الوجود الذي نظر إليه في صورة منفردة على أنه يشكل نقطة انطلاق مضمونة، بخلاف أفلاطون الذي اعتبر هذا النوع من المفاهيم إشكالية.

7 - Cassirer. E : 1972, la philosophie des formes symboliques, T1, p13-14, Paris édition de minuit.

قدحية، فالغموض لا يشكل دائمًا عيباً من العيوب فيها وإن كانت الحاجة والرغبة في إرجاع اللغة الفلسفية إلى عدد محدود من العلامات ذات الاستعمال الثابت والتي نفترض أن معانيها محددة، قد خامر نفوس العديد من الفلاسفة العرب وأبرزهم الكندي وفلسفه العصر الوسيط. فأغلب المقدمات الواردة في رسائل الحدود ركزت على أن عملها ينصب بشكل أساسى على تحديد المفاهيم بدقة، لذلك فإن، للمصطلحات مكانة أساسية في العلوم، جعلت الخوارزمي يصفها بـ“مفاتيح العلوم”， بل إن المشروع الفكري لأى عالم يقوم على المفاهيم والمصطلحات المستعملة في عمله. هذا يجعلنا نقول إن المفهوم يشكل منهجاً معرفياً وطريقاً إدراكيًّا يشق فيه الفكر طريقه عبر دهاليز المعرفة.

لم تخف على الفلاسفة العرب المقدمات الإشكالات التي تطرحها بعض المفاهيم المعرفية والوجودية وال العلاقات الموجودة بينها، والتي اشتهرت قبل سocrates، ومنها اصطلاحات الوجود والصيورة والواحد والمتعدد والسكون والحركة...الخ، وهي مصطلحات تناولها العديد من المفكرين العرب المقدماء في كتاباتهم الفلسفية والمنطقية والأصولية والكلامية بنوع من الدقة والتفصيل⁸.

فإذا كانت الفلسفة قد بدأت بالنظر في الطبيعة إلا أنها أصبحت في أحضان الفكر العربي الإسلامي علماً يعني بالمصطلحات والحدود، وقد لا تكون مبالغين إذا قلنا إن تعريف المصطلحات وحد المفاهيم وتدقيق الألفاظ أصبح المهمة الأولى للمعرفة العلمية عند كثير من علماء الإسلام⁹، ولا يجوز استعمال المفهوم إلا في المعنى الذي يعرف به، ولذلك اهتموا في كتاباتهم، خاصة رسائل الحدود، بتخليص المفاهيم من كل المضمرات والارتباطات التي كانت لها في مجالات أخرى. فليس للمصطلحات أية محتويات جوهرية يمكن الوصول إليها عن طريق الحدس.

8 - انظر مثلاً رسائل الحدود لكل من الكندي وجابر بن حيان وابن سينا والأمدي وإخوان الصفا.

9 - ما قام به أصحاب رسائل الحدود كالكندي وابن سينا والأمدي وإخوان الصفا وجابر بن حيان وبعض الأصوليين كالرازي في الحصول وابن حزم في الإحکام والفارابي في شرح تقيیح الفصول، وما قام به بعض المنطقية كابن تیمية في الرد على المنطقين والفارابي في الألفاظ المستعملة في المنطق وكتاب الحروف...الخ كل هذا يجعلنا ندعى أن الاعتناء بــ“حدود المصطلح” وربط التعريف شكل الحيز الأكبر من اهتمامهم.

إن الارتقاء بالخطاب العلمي إلى مستوى الدقة يتضمن في المقام الأول تعريف المفاهيم وتحديدها، وإذا كانت الكتابات العربية القديمة قد تضمنت في أحيان كثيرة اصطلاحات سابقة لها في الزمن، فإنها استطاعت في أحيان كثيرة تطوير بعض هذه المفاهيم وتطويعها خدمة لمشاريعهم الفكرية في علوم شتى، كعلم الكلام وعلم الأصول وعلم التفسير وعلم مصطلح الحديث... فضبط هذه المفاهيم والمصطلحات تأتي لهم بفعل الاستعمال المتكرر لها واستطاعوا بذلك توظيفها في علوم مختلفة، كاستعمال القرافي لأنواع الحدود في علم الأصول، واستعمال ابن تيمية لها في الفتاوى، واستعمال الرازى لأنواع الدلالات في البلاغة، وهو باب ذكره ابن سينا في باب المنطق خاصة في كتابه منطق المشرقيين، وأبدع قصيدة في الحد على النمط الذي نعرفه عند ابن مالك وابن أحروم في النحو.

بعد انتهاء عهد الفاتحين قام الجيل اللاحق من المفكرين بتقنين العمل السابق وتنظيم المفاهيم وضبطها، وهذا ما نشهده من تدرج للمفاهيم في دقتها، والشاهد على ذلك أننا لو رتبنا رسائل الحدود في إطار تسلسلها الزمني لوجدنا بعض المفاهيم تنضح وتتطور وتزداد وضوها ودقة إن على مستوى دوالها أو مدلولاتها، فهنالك دوال عربت بعد أن كانت بملفوظها اليوناني (قطاغورياس - باري أرمينياس - إيساغوجي - استيقا..) وهناك مدلولات ازدادت دقة ووضوها. فالعلم لا ينشأ منذ بداياته بمفاهيم ومصطلحات واضحة ودقيقة أو على حد تعبير سكموند فرويد: "يقال لنا غالباً أنه ينبغي أن يقوم العلم على مفاهيم أساسية واضحة أجياد تعريفها. ولا يوجد في الواقع - أي علم ولو كان من أكثر العلوم دقة، يبدأ بمثل هذه التعريفات"¹⁰.

فالمفاهيم العلمية والمصطلحات الضرورية في كل علم تتسم في بداياتها بنوع من الالتباس والغموض ولا يمكن أن يحدد محتواها تحديداً واضحاً منذ البداية. فمعانيها تنجلي بالتدريج ومع تطور النظرية أو المشروع الفكري، لأن "الدراسة العمقة لمجموع الظواهر التي يقع فحصها، هي وحدتها التي تسمح لنا بإدراك مفاهيمها الأساسية إدراكاً واضحاً، وبتغييرها تدريجياً حتى نتمكن من

10 - Freud.S : 1952, metapsychologie, Paris Gallimard, p 25.

استخدامها على نطاق أوسع، ويكون ذلك بالتخلص من التناقضات، وي حين الأوان – عندئذ – لإدراجها في تعريفات. إن تقدم المعرفة لا يقبل – أيضاً – أي تشدد في هذه التعريفات¹¹.

إن معظم المناهج التعريفية العربية جاءت متأثرة بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، فجبل الباحثين العرب القدماء الذين اهتموا بحد المفاهيم والألفاظ كانوا من أبرز الفلاسفة والمناطقة المسلمين، نذكر منهم الكندي والفارابي وابن سينا وإخوان الصفا والغزالى وجابر بن حيان والأمدي والخوارزمي والرازى وابن تيمية... واللائحة طويلة. قال ابن سينا موضحاً أهمية علم المنطق في صناعة حدود الألفاظ: "المنطق هو الصناعة النظرية التي تعرفنا من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حداً، والقياس الصحيح الذي يسمى برهاناً"¹².

إن المتبع للفكر الفلسفى عند علماء الإسلام يجده قائماً على إنشاء مفاهيم وأصطلاحات وتوظيفها في الفهم والتفسير والجدل، وعلى تداول مناهج وأساليب في التفلسف وتبلیغه. ولا يقتصر استعمال هذه المناهج والأدوات الفلسفية على المشغلين بالفلسفة، وإنما نجده مستعملاً عند مختلف الدارسين من الميادين الفكرية الأخرى. هذه الميادين التي تزود الفلاسفة، هي الأخرى، بمفاهيم ومصطلحات ومناهج لا تلبث أن تصبح من جوهر تفكيرهم الفلسفى. لذلك نقول بكل اطمئنان بأن الفلسفة، حينما تلقاها الغرب في العصر الوسيط، لم تبق يونانية خالصة، بل ازدهرت مع الحضارة العربية الإسلامية، واكتسبت بعدها عريباً إسلامياً لا يمكن فصلها عنه. فالمفكرون العرب القدماء لم يأخذوا نتائج الفلسفة والمنطق الأرسطي ويكروها في أبحاثهم دون جهد، بل أخذوا المقدمات الأولية وطوروها وعربوها وفقاً للثقافة العربية الإسلامية وأحدثوا نظرية متكاملة في حدود الألفاظ والمصطلحات تستجيب لطبيعة المصطلح المحدود كما هو كامن في الثقافة العربية الإسلامية، مستعينين في ذلك

11 - نفسه

12 - النص مأخوذ من: العياشى السنوفى، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، مج دراسات مصطلحية، عدد 2-2002، ص 173.

بها توصلوا إليها من نتائج في علوم أخرى من إبداعهم لم يسبقهم إليها أحد، كعلم أصول الفقه وعلم التفسير وعلم مصطلح الحديث.. بل إن كثيراً منهم انتقد المنطق الأرسطي ونتائجـه في حد الألفاظ والمصطلحات وأسس منهاجاً تعريفياً جديداً، وقد عرف ابن تيمية برفضـه للتصور الأرسطي للحد و هدمـه، واعتبر أنـ الحد لا يمكنـه إفادة التصور خلافـاً لما ادعـاه المناطقةـ، بل حسبـه تميـز المحدود عنـ غيرـه الذي يـشبهـه في الجنسـ. وحجـجـ الرافضـين لمبدأـ إفادةـ الحـدـ للـتصـورـ لـخـصـهاـ ابنـ تـيمـيةـ فيماـ يـليـ:

ـإنـ الـعـلـمـاءـ وـأـصـحـابـ الصـنـاعـاتـ يـعـرـفـونـ ماـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ مـنـ غـيرـ تـكـلمـ
بـحدـ منـطـقـيـ معـ أـنـهـ يـتـصـورـونـ مـفـرـدـاتـ عـلـمـهـ. فـعـرـفـ بـذـلـكـ عـنـدـهـ
استـغـنـاءـ التـصـورـ عـنـ هـذـهـ الـحـدـودـ.

ـإنـ النـحـاةـ ذـكـرـواـ لـصـطـلحـ الـإـسـمـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـينـ حـدـاـ كـلـهـاـ مـعـتـرـضـ
عـلـيـهـاـ، بلـ ذـكـرـواـ لـصـطـلحـ الـإـسـمـ سـبـعـينـ حـدـاـ لـمـ يـصـحـ مـنـهـاـ شـيـءـ. وـذـكـرـ
الـأـصـوـلـيـوـنـ لـصـطـلحـ الـقـيـاسـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـينـ حـدـاـ كـلـهـاـ كـذـلـكـ مـعـتـرـضـ عـلـيـهـاـ.
بلـ إـنـ الـحـدـودـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ كـتـبـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـأـطـبـاءـ وـالـنـحـاةـ وـالـأـصـوـلـيـوـنـ
وـالـمـتـكـلـمـيـنـ مـعـتـرـضـ عـلـيـهـاـ.

بناءـ عـلـىـ هـتـيـنـ الـحـجـتـيـنـ: لوـ كـانـ حـدـ الـلـفـظـ أوـ الشـيـءـ يـفـيدـ تـصـورـهـ أوـ لـوـ
كـانـ تـصـورـ الـأـلـفـاظـ وـالـأـشـيـاءـ مـوـقـوفـاـ عـلـىـ الـحـدـودـ لـمـ يـكـنـ إـلـيـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ قـدـ تـصـورـ
الـنـاسـ شـيـئـاـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـورـ، فـلـاـ يـكـونـ عـنـدـ النـاسـ عـلـمـ فـيـ عـامـةـ عـلـوـمـهـمـ، وـهـذـاـ
حـسـبـ ابنـ تـيمـيةـ. مـنـ أـعـظـمـ السـفـسـطـةـ.¹³

لـقـدـ خـالـفـ كـثـيرـ مـنـ الـأـصـوـلـيـوـنـ وـالـمـتـكـلـمـيـنـ أـرـسـطـوـ وـأـتـيـاعـهـ مـنـ مـفـكـريـ
الـيـونـانـ وـالـعـرـبـ وـالـمـسـلـمـيـنـ أـثـنـاءـ تـعـرـضـهـمـ لـلـحدـ وـتـعـرـيفـ الـأـلـفـاظـ. فـإـذـاـ كـانـ الـحدـ
عـنـدـ أـرـسـطـوـ هـوـ الـمـعـرـفـ لـلـمـاهـيـةـ أـوـ لـلـذـاتـ، أـوـ هـوـ الـجـوابـ الـحـصـريـ لـمـاـ هـوـ؟ـ أـوـ هـوـ
تـعـرـيفـ بـالـمـاهـيـةـ، فـإـنـ هـذـاـ يـجـعـلـ مـنـ الـحدـ فـيـ الـتـصـورـ الـأـرـسـطـطـالـيـيـ قـمـةـ الـعـلـمـ،
لـأـنـهـ بـالـحـدـودـ تـدـرـكـ الـتـصـورـاتـ، بـلـ إـنـهـ غـاـيـةـ الـفـكـرـ الـأـرـسـطـطـالـيـيـ كـلـهـ، وـهـذـاـ مـاـ

13 - ابنـ تـيمـيةـ، الرـدـ عـلـىـ الـمـنـطـقـيـنـ، صـ8.

لا نجده عند بعض المفكرين العرب القدماء من أصوليين ومناطقه وفلاسفة، فمعظم الأصوليين اعتبروا غاية الحد ووظيفته الأساس : التمييز، أي تمييز المحدود عن غيره. فـ"سائر النظار من جميع الطوائف الأشعرية والمعزلة والكرامية والشيعة وغيرهم، فعندهم إنما يفيد{الحد} التمييز بين المحدود وغيره"¹⁴.

وخلالص القول، في ما ذكر أعلاه، أن المتأمل في الإنتاجات العربية والإسلامية القديمة لابد أن يستوقفه أثر الدرس المنطقي في هذا التراث الغني. فرواد الحضارة الإسلامية وهم كثرة منتشرة في بقاع البلاد الإسلامية، كانت كتاباتهم متنوعة في علوم عقلية ودينية وإلهية ومنطقية ولغوية وصوفية وطبية.... ولم تخال هذه العلوم في معظمها من الأدوات المنطقية في التعليل والتحليل والتقعيد، هؤلاء لم يكونوا ثلة مغمورة مجهلة، بل علماء أجلاء وأعلام مشاهير، وإن كان الدرس المنطقي قد لقي معارضة في الحضارة الإسلامية، وتعرض المستغلون به للمضايقات، واتهموا بالزندقة والخروج عن الفطرة والسليقة والبراءة الأصلية والخوض في لحج الباطل. وقد بلغت المعارضه حد التحرير والتجريح والمصادرة، وابتلي المتنمطقون بالتجريح والتشهير. رغم كل ذلك نعتقد أن الفكر المنطقي ومناهجه كان لها الأثر الكبير والفضل العظيم في تطور الفكر العربي ومناهجه وعلومه، فازدادت المعارف وكثير العطاء وغزر الإنتاج والإبداع، وانفجر تحجر الفكر وانبثق منه العلم الغزير.

2. معايير تعريف المصطلح في الفكر المنطقي العربي

اهتم المناطقة وال فلاسفة المسلمين، كابن سينا وابن تيمه وإخوان الصفا والفارابي والغزالى والكندى والرازى، وغيرهم كثير، بوضع قوانين ومعايير وقواعد لتعريف المصطلحات والمفاهيم. وتحذثوا عن الحد وأقسامه وشروط

14 - علي سامي الشمار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف، ط. 3، 1966، ص. 90.

بنائه. وقسموا الحد والرسم إلى تام وناقص. واعتبروا التعريف بالحد التام هو أتم التعريفات وأكملها؛ لأنَّه يعرف المصطلح بمجموع الأجزاء الداخلة فيه، وهو عند المناطقة تعريف بالذاتيات (الجنس+القريب+الفصل). ومثلوا لذلك بحد الإنسان فقالوا:

الإنسان (النوع) = حيوان (جنس قريب) + ناطق (فصل)

وهو مطرد ومنعكـس، بخلاف الحد الناقص الذي لا يُعرف المصطلح إلا بعض أجزائه المساوية له¹⁵. وهو عند المناطقة مكون إما من:

جنس بعيد + فصل؛ كقولهم في حد الإنسان: الإنسان = موجود + ناطق.

أو من الفصل فقط؛ كقولهم: الإنسان = الناطق.

أما تعريف المصطلح بالرسم فهو تعريف له بصفات تخصه¹⁶. أو -حسب الفارابي- بأعراضه¹⁷. وميزوا بين تعريف المصطلح برسم تام يتضمن أجزاء المفهوم ولوازمه، ورسم ناقص تعرف بمقتضاه المصطلحات بلوازمها فقط.¹⁸.

ففي الرسم التام تعرفحقيقة اللفظ بعض أجزائها وبعض لوازمها. ويمكن صياغة ذلك على الشكل التالي:

الرسم التام = أجزاء الماهية + خصائص (لوازم)

الرسم التام = جنس قريب + خاصة

ومثال ذلك قولهم في حد الإنسان: الإنسان = حيوان + ضاحك

أما الرسم الناقص فتعرف بمقتضاه حقيقة اللفظ عن طريق تعريفه بلوازمه فقط. ويمكن صياغة ذلك على الشكل التالي:

15 - الرازي: محصل أفكار المقدمين والمؤخرین من العماء والحكماء والمتكلمين، ص: 19

16 - إخوان الصفا: الحدود والرسوم، ص: 23

17 - الفارابي: الحروف، ص: 168

18 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 436، وابن سينا: رسالة الحدود، ص 50

رسم ناقص = جنس بعيد + خاصة، ومثاله: الإنسان = موجود + ضاحك

أو: رسم ناقص = خاصة، ومثاله: الإنسان = الضاحك.

فبالإضافة إلى ابتكارهم أقسام مختلفة من التعريفات، استطاع المناطقة المسلمين وضع منهجة مكتملة في بناء التعريف. وتقوم هذه منهجة على سلسلة من الشروط الواجب احترامها أثناء صياغة التعريف أهمها:

- اجتناب تعريف المصطلح بنفسه: فالمصطلح يوضع لمعنى معين، ومعناه سابق عليه في الزمن فلا جَرَم أنْ كان التعريف معلوماً قبل العلم بالوحدة المصطلحية الموضوعة عالمة له، لذا وجب أن يعلم التعريف قبل المصطلح، وهذا ما لا يؤديه تكرار المصطلح في التعريف.¹⁹

- اجتناب تعريف المصطلح بما لا يعرف إلا به: لأن ذلك يلزم الدور أو التسلسل. قال الرازى متقدماً الغزالى: "قال (أي الغزالى) في حد الأمر: إنه القول المقتضى لذاته طاعة المأمور بفعل المأمور به، وأقول إنه يوجب الدور...لأنه عرف الأمر بالمأمور والمأمور به، ولا يمكن تعريفهما إلا بالأمر، فهو يوجب الدور".²⁰

هذا الشرط أكد عليه العديد من الفلاسفة والمناطقة من اهتموا بالحدود، كابن سينا في الإشارات والتبيهات،²¹ والسكاكى في باب الاستدلال²²، والأمدى في "الإحکام في أصول الأحكام".²³

- اجتناب تعريف المصطلح بما هو أخفى منه: اشترط ابن سينا في التعريف ألا يتضمن الألفاظ المجازية والمستعارة والغريبة والوحشية²⁴، لأنها قد

19 - الرازى: محصل أفكار المتقدمين، ص: 17

20 - الرازى: مناظرات فخر الدين الرازى في بلاد ما وراء النهرین، ص: 47

21 - ابن سينا الإشارات والتبيهات، ص: 215 و 216

22 - السكاكى: مفتاح العلوم، ص: 437

23 - الأمدى "الإحکام في أصول الأحكام، ج 2، ص: 204"

24 - ابن سينا: الإشارات والتبيهات، ص: 213

تكون أخفى من المصطلح المراد تعريفه. ويرى القرافي بأن التحديد بالجهول لا يصح²⁵، لأن التعريف بالأخفى لا يفهم إلا بعد البحث عن تعريف أجزاء التعريف، لغموض عناصر التعريف. لذا يجب أن تكون الألفاظ المكونة للغة التعريف مألوفة لا مجهولة ولا غريبة.

- اجتناب تعريف المصطلح بما يساويه معرفة أو جهالة: ويدخل فيه التعريف بالضد أو النقيض وكل ما قد يساوي ويماثل المصطلح المعرف من حيث العلم به أو الجهل بمعانيه.

- احترام الترتيب في الحد: لقد اشترط المناطقة والفلسفه في التعريف ترتيباً معيناً، فإذا وجد للتعريف جنس قريب وآخر بعيد وجبر إيراد القريب. وإذا وجد للحد جنس وفصل، وجب الابتداء بذكر الجنس ثم الفصل، وهذا ما استهل به ابن سينا قصيده المزدوجة في المنطق حين قال:

إِذَا أَرْدَتَ أَنْ تَحُدُّدَ حَدًا
فَرْتَبْ الْجِنْسَ الْقَرِيبَ حِدًا
فَإِنَّهُ يَحْصُرُ كُلَّ ذَاتٍ
يَكُونُ لِلمَحْدُودِ فِي الصَّفَاتِ
ثُمَّ اطْلُبْ الْفُصُولَ فَهِيَ حَادَةٌ
مِنْ صُورَةِ أَخْذُتْهَا أَوْ مَادَّةٌ.²⁶

ولم يخف الغزالى صعوبة احترام هذا الشرط في صياغة التعريف عندما قال: "رعاية الترتيب في هذه الأمور شرط للوفاء بصناعة الحدود وهو في غاية العسر".²⁷

25 - القرافي: شرح تنقیح الفصول، ص 6

26 - ابن سينا: القصيدة المزدوجة في المنطق، ص: 17-18

27 - الغزالى: معيار العلم، ص: 204

المصادر والمراجع

المصادر العربية

الأمدي (سيف الدين أبو الحسن بن علي محمد): "الإحکام في أصول الأحكام"، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان 1400هـ 1980م.

إخوان الصفا: "الحدود والرسوم" (في كتاب: "الحدود في ثلاث رسائل" تحقيق وتقديم، محمد العبد منشورات عكاظ العصرية - صيدا بيروت (99هـ- 1979م).

ابن تيمية: (تقي الدين):

أ - "الرد على المنظفين" تقديم: سليمان الندوی. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ب-ت.

ب - "فتاوي ابن تيمية" جميع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

الرازي (فخر الدين):

أ - "التفسير الكبير"، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

ب - "المحصول في علم أصول الفقه"، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1399هـ - 1297م.

ج - "مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر".

د - "نهاية الإيجاز في درایة الإعجاز"، تحقيق ودراسة، بكري شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تشرين الأول، أكتوبر 1985م.

ه - محصل أفكار المتقدمين والمؤخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ب-ت.

السكاكبي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي): "مفتاح العلوم"، ضبط وتعليق، نعيم زرزور، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

ابن سينا (أبو علي):

أ - "الإشارات والتنبيهات"، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، القسم الأول، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر 1971.

ب - "منطق المشرقيين"، تصحح ونشر: المكتبة السلفية لمؤسسها محب الدين الخطيب وعبد الفتاح القنان، القاهرة، السكة الجديدة، 1328هـ - 1910م.

ج - "رسالة الحدود" (في كتاب: "الحدود في ثلاثة رسائل": تحقيق وتقديم: محمد العبد)، منشورات عكاظ العصرية، صيدا، بيروت 1399 هـ - 1979م.

د - "القصيدة المزدوجة في المنطق"، تصحح ونشر: المكتبة السلفية، القاهرة، السكة الجديدة، 1328هـ-1910م، مطبعة المؤيد.

الغزالى (أبو حامد):

أ - "معيار العلم في فن المنطق"، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1978م.

ب - "المستصفي في علوم الأصول"، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة 1، 1322م.

الفارابي (أبو نصر):

أ - "إحصاء العلوم"، تحقيق وتقديم وتعليق، عثمان أمين، الطبعة 3، القاهرة 1968.

ب - "الألفاظ المستعملة في المنطق"، تحقيق وتقديم وتعليق، محسن المهدى، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1986م.

- ج - "رسالة في فضيلة العلم"، جيدر آباد، الدكن، الطبعة 2، 1948.
- د - "كتاب الحروف"، تحقيق وتقديم وتعليق، محسن مهدي، دار المشرق،
بيروت، لبنان، 1970 م.

القرافي شهاب الدين (أحمد بن إدريس): "شرح تقييح الفصول في اختصار المحسوب في الأصول"، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، دار الفكر،
الطبعة الأولى، 1393 هـ- 1973 م.

ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993 م، ط 1،

ب. المراجع العربية

السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية،
بيروت لبنان، 1968.

عبد الحفيظ الهاشمي، حد البرهان وبرهان الحد عند ابن وهب الكاتب،
مج دراسات مصطلحية، عدد 1، 2001.

شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة.

العياشي السنوفي، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، مج دراسات
مصطلحية، عدد 2-2002

علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج
العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف، ط 3، 1966

ج. المراجع الأجنبية

Janet, P et séailles G :1928, histoire de la philosophie : les problèmes
et les méthodes, Paris, librairie de lagrave.

Cassirer. E : 1972, la philosophie des formes symboliques, T1, p13-14, Paris édition de minuit.

Freud.S : 1952, métapsychologie, Paris Gallimard, p 25.